

الإتباع (ظاهرة صرفية)

فارس فندي البطاينة

إن للعربية كثيراً من الخصائص اللغوية، وللعرب أساليب لتقوية الكلام وتوكيده وعبارات تدل على الفصاحة، وتنم عن البلاغة والبراعة، من ذلك ما عُرف بـ "الإتباع"، وهو فنٌ من فنون العربية وباب من أبوابها الطريفة استعمله فصحاء العرب توكيداً للكلام وتزييناً له. وفي هذا البحث حديث عن هذه الظاهرة اللغوية، حاولت من خلاله بيان معنى الإتباع، والغرض منه، ونظرة العلماء له وما قيل حوله وعلاقته بالمزاج، وبالإبدال، وبالتوكيد، وبالترادف، ودللت على ذلك كله بالعديد من الأمثلة التي تناولها علماء اللغة الأوائل.

الإتباع لغةً:

ورد في معظم معاجم اللغة أن مادة "تبع" تدل على التلوُّ والقنوّ يقال تبع فلان فلاناً، يتبعه، تبعاً وتبَاعَةً وتُبوعاً وتَبَاعاً: مشى خلفه وسار في إثره وتلاه، ويقال تابعه وتتبعه واتبعه، والتابع والتبوع: التالي للشيء الموالي له^(١).

وقد ورد هذا الأصل في مواضع متعددة في كتاب الله العزيز قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَبْلَتَهُمْ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾^(٥).

إذن فالإتباع لغة مصدر أتبع الشيء الشيء: ألحقه به وجعله تابعاً له، يقول ابن فارس في كتابه الصحابي^(٦): "للعرب الإتباع، وهو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيدياً، وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: " هو شيء نترُّ به كلامنا^(٧)" وذلك قولهم "ساغب لاغب" و "هو خبُّ ضبُّ" و "حزاب يباب"^(٨).

فائدة الإتياع:

يقول ابن جنّي في المنصف "ولهذا وقع الإتياع في كلامهم نحو قولهم شيطان ليطان لأنهم أرادوا أن يؤكدوا كلامهم، فكرهوا إعادة اللفظة بعينها، فغيّروا بعض حروفها، وتركوا الأكثر ليُعلموا أنهم في تأكيد الأول، كما قالوا: "قام القوم أجمعون أكتعون أبصعون" فغيّروا بعض الحروف وتركوا بعضاً، ليكون فيه ضرب من التكرير وليُخالف الأول بعض الخلاف، وإذا كانوا قد قالوا: ضربت زيداً ضربت، وضربت زيداً زيداً، فيما حكاه عن سيبويه، فتغيّروا بعض اللفظ أسوغ وأحسن، وأخبرني ابن العطار عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه سأل بعضهم عن قولهم (شيطان ليطان) ما معنى ليطان فقال: شيءٌ نَدُّ به كلامنا، فهذا تصريح منهم بالغرض المطلوب، وعلى هذا قالوا: حَسَنٌ بَسَنٌ وجائعٌ نائعٌ، وقد قيل نائعٌ بمعنى عطشان، وانشدوا فيه: لعمر بني شهاب ما أقاموا صدور الخيل والأسل التياعا(٩).

وقال الآمدي: "التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن معنى بَسَنٌ فقال: "لا أدري ما هو"(١٠) ويعلق السبكي على هذا القول بقوله: "والتحقيق أن التابع يفيد التقوية، فإن العرب لا تضعه سدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر. بل مقتضى قوله إنه لا يدري معناه أن له معنى وهو لا يعرفه"(١١).

أما رضي الدين الاسترابادي في شرح الكافية فيقول: "وهو على ثلاثة أضرب فإنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً، بل ضُمَّ إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً، وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى، نحو حَسَنٌ بَسَنٌ أو قد يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو خبيث نبيث، من نبثت الشيء أي استخرجته"(١٢).

فالغرض الأصلي من الإتياع كما نرى، تأكيد معنى الكلمة الأولى بإتياعها كلمة أخرى تجانسها في الصوت بحيث تقتصر المخالفة عادة على حرف واحد. فالمُعَوَّل على المجانسة الصوتية. فإذا كان للكلمة الثانية، مع مُجانستها في الصوت للكلمة الأولى، معنى يطابق معنى الكلمة الأولى أو يقاربه على وجه من الوجوه ظلت إتياعاً، وصارت تؤكد معنى الكلمة الأولى بجرسها ومعناها معاً لا بجرسها وحده. فإذا كان للكلمة الثانية معنى يطابق الكلمة الأولى، ولم تكن في الكلمة الثانية مجانسة صوتية للكلمة الأولى، كان هذا من قبيل الترادف لا الإتياع.

ولذا لم يكن للكلمة الثانية في كثير من الأحيان معنى أو اشتقاق واضح فابن الأعرابي فيما حكاه عن ثعلب ونقله ابن جنّي في كلامه السابق عن معنى ليطان فلم يدلّوه على معنى خاص بذلك

اللفظ وإنما قالوا إنه شيء يشدون به كلامهم ويؤكدونه. وقد فسر أبو الطيب اللغوي ليطان بقوله :
”وهو الذي يلزق بالشر، من قولك ما يليب بي هذا أي ما يلزق“ (١٣).

وكذلك الحال في قولهم (جائع نائع) لم يتفقوا عليه، ف قيل كما ذكر ابن جنّي نائعٌ عطشانٌ
وقيل كما ورد في كتاب الإتياع لأبي الطيب (١٤) النائع المتمايل من ضعف الجوع من قولهم : ناع
الغصن إذا مال. وقيل أيضاً النائع كما ورد في أدب الكاتب لابن قتيبة (١٥) : نائع إتياع يعنون بذلك
أنه ليس له معنى في نفسه وإنما قصدت به مجانسه اللفظ الأول في الصوت توكيداً لعناه. وهذا هو
الأصل في الإتياع.

وقد يكون الكلمة الثانية مع مجانستها في الصورة للكلمة الأولى - مشتقة اشتقاقاً واضحاً من مادة
لغوية واضحة الدلالة، ومع هذا لا نجد اللغة تستعمل هذه الكلمة الثانية مفردة وأمثلة ذلك قولهم عطشان
نطشان ونطشان من قولهم ما به نطيش أي حركة، ولا يفرد نطشان ومنها أيضاً شحيح نحيح من قولهم
نحّ بالجمل وأنح إذا ضعف عن حمّله فكان معنى النحيح الذي يضعف قلبه عن إخراج شيء (١٦).
وقد تكون الكلمة الثانية مما يمكن استعماله مفرداً وأبو الطيب لا يعتبر مثل هذا إتياعاً وإنما
يعده توكيداً مثال ذلك قولهم أنه تقسيم ورسيم فابن فارس يعتبره إتياعاً لكن هذا توكيد عند
أبي الطيب والزجاج (١٧).

قال الزجاج ليس وسيم إتياعاً لقسيم كما أن قولهم مليح صبيح، ليس صبيح فيه إتياعاً للمليح،
وإنما يكون اللفظ مقفياً عليه بالإتياع إذا لم يفصل، كقولهم عطشان نطشان فنطشان لا يفصل من عطشان
ولذلك قيل في نحو هذا: إتياع لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده فأما وسيم فقد جاء دون قسيم.
يتبين لنا مما سبق عناية علماء العربية بالإتياع واهتمامهم به واتفاقهم أن الإتياع أن تلي
الكلمة كلمة أخرى وأن الغرض منه تقوية الكلام وتوكيده ولكنهم اختلفوا في معاله وقيوده، منهم من
يشترط في التابع ألا يكون مما يفرد في الكلام أو مما لا معنى له، أو له معنى متكلف ومنهم من لا
يشترط ذلك ويعد إتياعاً ولو صح إفراده وأمكن فصله عن المتبوع أو كان له معنى بيّن ثم إن من العلماء
من حاول إخراج ما عطف بالواو وأكثرهم لم يلتفت إلى ذلك.

بحث العلماء للإتياع وآراؤهم فيه :

عني علماء العربية بالإتياع عناية كبيرة، ولم يألوا جهداً في تجميعه وبيان جوانبه على قدر
طاقتهم، انطلاقاً من عنايتهم بالعربية، وحرصاً منهم على بحث قضاياها وظواهرها، وقد تباينت
مواقفهم من الموضوع واختلفت نظراتهم.

وقد عرض أوائل العلماء المؤلفين في العربية للإتباع فمنهم من اقتصر على إيراد ألفاظه أو أشار إليه دون تععيد أو تحديد ومنهم من أفرد له أبواباً خاصة للحديث عنه وقليل منهم من أفرد له كتباً، ولبيان ذلك لا بد من استقراء بعض ما قاله العلماء في هذا الباب.

فالقاريء لكتاب العين للخليل بن أحمد يجد ألفاظ الإتباع متناثرة يعلّق الخليل على بعضها وينقل البعض الآخر دون تعليق: قال: "والنوع: الجوع، ويقال: العطش وبالعطش أشبه لقول العرب: عليه الجوع والنوع، وجائع نائع ولو كان الجوع نوعاً لم يحسن تكريره. وقال آخر: إذا اختلف اللفظان كرروا والمعنى واحد" (١٨).

وقال أيضاً: "وتقول حيّك الله وبيّك، أي: أخرجك وأضحكك، ويقال: بياك تقوية لحيّك" (١٩). وتقول: (ورجل حوّاس عوّاس: طلاب بالليل) (٢٠).

وأشار سيبويه في كتابه إلى الإتباع حيث قال: "وهذا حرف لا يُتكلّم به مفرداً إلا أن يكون على "ويلك وهو قولك: ويلك وعولك، ولا يجوز: عولك" (٢١) وأضاف قائلاً: "ولا تقول عولةً لك إلا أن يكون قبلها: ويلة لك، ولا تقول: عول لك حتى تقول: ويل لك، لأن ذا يتبع ذا، كما أن ينوؤك يتبع يسوؤك ولا يكون يسوؤك مبتدأ" (٢٢).

وفي الغريب المصنّف يعقد الهروي (ت ٢٢٣هـ) باباً للإتباع يورد فيه أمثلة ذكرها من سبقه منها: "أحمق فاك تالك، وضالّ بال، وماله عافطة ولا نافطة، يقول: العافطة: العنز تعفط، تضرط، والنافطة إتباع..." (٢٣).

وفي كتابه غريب الحديث يتعرض للإتباع ونراه وهو ينقل الحديث عن "الشبرم" (٢٤): (إنه حارّ جارّ يقول: "وبعض الناس يرونه "حارّ يارّ" وهو أكثر" ثم قال: "وقال الكسائي وغيره: الحارّ من الحرارة، ويارّ إتباع كقولهم عطشان نطشان، وجائع نائع، ومثله كثير في الكلام، وإنما سمي إتباعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلّم بها منفردة، فلهذا قيل: إتباع" (٢٥).

وقال: "وقال بعض الناس في "بيّك" (٢٦) إنما هو إتباع وهو عندي على ما جاء تفسيره في الحديث أنه ليس بإتباع، ذلك أن الإتباع لا يكاد يكون بالواو، وهذا بالواو" (٢٧).

وقال أيضاً: "وقد كان بعض النحويين يقول في حديث آدم عليه السلام، إنه لما قتل أحد بنيه أخاه، فمكث مائة سنة لا يضحك، ثم قيل له: "حيّك الله وبيّك" قال: وما بيّك؟ قال: أضحك، يبيّن لك أنه ليس بإتباع، إنما هي كلمة أخرى. قال: ويقال: إن بلا شفاء، كما يقال: قد

بلّ الرجل من مرضه واستبلّ، إذا برأ" (٢٨). ونلاحظ هنا أن أبا عبيد الهروي يرى كما يرى من سبقه أن الإتياع مقيد بكون الكلمة الثانية لا يتكلم بها مفردة، وأن لا يكون بين الكلمتين واو عطف، فإن كان للثانية معنى وتفرّد في الكلام، أو كان بينهما الواو فليس بإتياع.

وللزجاج في الإتياع رأي نقله عن ابن سيده بحمله أن اللفظة لا تعد إتياعاً إلا إذا كانت مما لا يفرد في الكلام ولا يفصل، وهذا لا يختلف عن رأي سابقه إلى حد ما. ونرى ذلك في قول الزجاج في قولهم: "قسيم وسيم": "ليس وسيم" إتياعاً لـ "قسيم" كما أن قولهم "مليح صبيح" ليس صبيح إتياعاً للمليح، وإنما يكون اللفظ مقفياً عليه بالإتياع إذا يكن يفصل، كقولهم: "عطشان نطشان" فنطشان لا يفصل من عطشان، ولذلك قيل في نحو هذا إتياع، لأنه لا معنى له إذا جيء به وحده، فأما وسيم فقد جاء دون قسيم" (٢٩).

وقال في "مضيع مسيع وضاع ساع": "ليس مسيع إتياعاً لمضيع ولا ساع إتياعاً لضاع. فإنهم يقولون ضاعت الناقة وساعت، وناقاة مضياع ومسياع، وقد ساع تسوع وإنما غرّ من قال إنه إتياع قولهم: مسياع وأصله من الواو. فتوهّموا أنهم قلبوها ياءً إتياعاً لمضياع، كيف وهم يقولون: مسياع مضياع، فيقدمون مسياعاً على مضياع" (٣٠).

وأدلى أبو بكر الأزدي بدلوه مع الباحثين في أمثلة إتياعية وقال بعد ذكر عدد منها معتمداً على من سبقه: "فهذه الحروف إتياع لا تفرّد" ثم قال: "وتجيء أشياء يمكن أن تفرّد" ولا يشترط أن تكون الألفاظ الإتياعية مما يجب عدم إفراده وإن كان ذلك هو الأكثر عنده وفيما أورد من الأمثلة (٣١). واستهل أبو علي القالي باب الإتياع في أماليه بقوله: "الإتياع على ضربين فحرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً، لأن لفظه مخالف للفظ الأول. وحرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول" (٣٢).

قال: "فمن الإتياع قولهم أسوان أتوان في الحزن، وأسوان من قولهم أسى الرجل يأس، أسى: إذا حزن، ورجل أسيان وأسوان: أي حزين، وأتوان من قولهم: أتوته، أتوه: بمعنى أتيته، أتية وهي لغة هذيل".... فمعنى قولهم أسوان أتوان: حزين متردد يذهب ويجيء من شدة الحزن" (٣٣) يقولون عطشان نطشان، فنطشان: مأخوذ من قولهم ما به نطيش أي ما به حركة، فمعناه: عطشان قلت" (٣٤). وقال: "ويقولون شيطان ليطان، فليطان مأخوذ من قولهم لاط حبه بقلبي يلوط ويليط أي لصق.... ومعناه شيطان لصوق. وقد فسر أبو علي الثاني بمعنى الأول عكس ما قد تم

إيراده في الأمثلة السابقة حيث فسّر الثاني بمعنى مغاير للأول. "ويقولون كثير بثير، فالبثير هو الكثير، مأخوذ من قولهم: ماء بثر: أي كثير، فقالوا بثير لموضع كثير" (٣٥).

وقال: "ويقولون ضئيل بئيل، فالبئيل هو الضئيل قال أبو زيد: يؤل الرجل بآلة: إذا ضؤل" ومنه يقولون عكّ وإلّ فالعكّ والعكّة والعكيك شدة الحرّ. والأك والأكة: الحرّ المحترم. يقال: يوم ذو أك... " (٣٦).

وخصّ أبو الطيب اللغوي الإتياع بكتاب مستقل حدّ فيه الإتياع بما لا يصحّ أن يفرد وحده. فإذا كان للفظ معنى لكنّه لا يُفرد أو لم يكن له معنى فهو الإتياع، أما إذا كان له معنى بحيث يمكن إفراده فلا يرد عنده في الإتياع، وهو إلى جانب ذلك لا يعتدّ بالواو، فسواء أكانت الكلمة بالواو أم بغيرها - فهي إتياع إن توافر فيها ما سبق - قال في الجزء الموجود من المقدمة: "يقولون: هذا جائع نائع، فهو عندهم إتياع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعاً له ونوعاً: فيدخلون الواو وهو مع ذلك إتياع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتياعاً، ومرة غير إتياع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو" (٣٧).

وقد رتب أبو الطيب كتابه على حروف المعجم مراعيّاً أصول حروف الإتياع فعلى سبيل المثال لا الحصر أورد، في (باب الإتياع الذي أوله نون) العديد من الأمثلة على الإتياع نذكر منها. أقواله: يقال: رجل جائع نائع، والنائع، زعموا: المتحايل من ضعف الجوع، من قولك ناع الغصن، إذا مال، قال الراجز:

ويقال: إنه لتأفه نأفه، للشيء إذا كان قليلاً حقيراً، ويقال: إنه لسهد مهّد نهّد، أي حسن. ويقال رجل شحيح نحیح، من قولهم نحّ بالجمل وأنحّ إذا ضعف عن حمله، ويقال: إنه لضعيف نعيّف وإنه لخبيث نبيث كأنه ينبث الشر، والنبث: النّيش والاستخراج ويقال ما فيه شقذ ولا نَقذ أي ما فيه عيب، ويقال: "أعطاني حقيراً نقيراً، ومقرأ نقراً...." (٣٨).

وقد ألف ابن فارس كتاباً في الإتياع سماه الإتياع والمزاوجة ورتبه أيضاً على حروف المعجم من باب الباء "ب" إلى حروف العلة ولكنه راعى آخر الحرف من لفظ الإتياع لا أوله كما كان عند أبي الطيب.

وقد بدأ ابن فارس كتابه بقوله: "هذا كتاب الإتياع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين أحدهما أن تكون كلمتان متواليّتان على رويّ واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويَّان ثم تكون بعد

ذلك على وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف إلا أنها كالإتباع لما قبلها. والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق" (٣٩).

ويمتلى كتاب ابن فارس بالعبارات التي ينص أحياناً على كونها إتباعاً أو مزوجة. ويسكت في كثير من الأحيان من هذه العبارات على سبيل المثال لا الحصر نذكر جزءاً من (باب التاء من كتاب الإتباع والمزوجة) (٤٠).

يقال: إنه معفتٌ مَلْفَتٌ إذا كان يعفت كل شيء ويلفته أي يرقه.

وإنه لعفريت نفريت، وربما قالوا عفرية نفرية، للداهي وامرأة خفوت لفوت، الخفوت: الساكنة، واللفوت: التي تلفت نفسها عما يكره.

وفرس صلتان فكتان إذا وصف بالنشاط وحدة الفؤاد، أما الصلتان فمن الصلت والانصلات، والفلتان: كأنه من أفلت.

ويقولون للأحمق: هفأت لفأت، يوصفه بالخفة. وربما خففوا فقالوا: هفأت لفأت.

ومن المزواج قولهم في جواب من قال (هات): لا أهاتيك ولا أواتيك والمعنى مفهوم في الكلمتين.

ويقولون لم يبق منهم تثبيت ولا هببت أي جبان ولا شجاع قال طرفة.

فالهببت لا فؤاد له والتثبيت ثبته فهمه

قالوا: الهببت: الجبان، والتثبيت من ثبت (٤١).

ولم يزد المتأخرون شيئاً ذا بال إلى الإتباع، وأحسن ما يذكر في هذا المجال ما قدمه السيوطي في المزهري، فقد جعل النوع الثامن والعشرين من أنواع اللغة للإتباع (٤٢) كان السيوطي في ذلك جماعة كعادته ونقل آراء من سبقه من علماء اللغة وأورد الأمثلة المتعددة الإتباعية عن عدد من المراجع إضافة إلى تأليفه كتاب الإلماع في الإتباع (٤٣).

الإتباع والمزوجة:

القاعدة في الإتباع أن تتبع الكلمة الأولى كلمة أخرى مجانسة لها دون أن تربط بينهما واو العطف، فإذا جنئت بالواو فهذه مزوجة. وهي أن تزوج بين طرفين متقابلين وتجعل منهما زوجاً واحداً وهذا لا يكون إلا برباط وهذا الرباط هو واو العطف عادة. ولتبيّن الفرق بين الإتباع والمزوجة لا بد من عرض لبعض الآراء التي طرحها علماء اللغة نأخذ منها على سبيل المثال.

ابن فارس الذي لم ينصّ في كتابه عن الإتياع والمزاوجة على أن المزاوجة تكون بالواو. ولكن الأمثلة التي كان ينص على أنها من المزاوجة تشتمل عادة على واو العطف. ففي باب التاء مثلاً ينص على أن قولهم "لا أهاتيك ولا أواتيك" من المزاوج وهذا بالواو ثم يورد عقب ذلك مباشرة قولهم "لم يبق منهم تثبيت ولا هبيت" وهذا أيضاً بالواو(٤٤).

ولا يرى أبو الطيب فارقاً بين ما فيه واو وما ليس فيه واو، فهذا كله إتياع إذا كانت الكلمة الثانية مما لا يستعمل مفرداً، أو توكيد إذا كانت الكلمة الثانية مما يمكن استعماله مفرداً. فالاعتبار عنده ليس بالواو، وفي هذا يقول فيما بقي سليماً من خطبته كتابه: "... أنهم يقولون: هذا جائع نائع فهو عندهم إتياع، ثم يقولون في الدعاء على الإنسان: جوعاً ونوعاً، فيدخلون الواو، وهو مع ذلك إتياع، إذ كان مُحالاً أن تكون الكلمة مرة إتياعاً ومرة غير إتياع، فقد وضح أن الاعتبار ليس بالواو". كذلك لا يفرق ابن دريد وأبو علي القالي وابن سيده بين ما هو بالواو وما هو بغير الواو فهذا كله إتياع عندهم(٤٥).

وفي المزاوجة كما في الإتياع قد تكون الكلمة الثانية مما يمكن استعماله له مفرداً ومما لا يمكن استعماله له مفرداً. وباب ابن قتيبة في الازدواج يشتمل على أمثلة من هذين النوعين. فمن النوع الأول: "كيف السامة والعامّة" فالعامّة: عامة الناس والسامة: الخاصة، ومنه ما عنده خير ولا مَيّر، فالير مصدر مارهم بميرهم إذا زودهم بالميره أي الطعام الذي يُجلب للبيع. ومن النوع الثاني قولهم: "هو له حلٌ وبلٌ" فالحلُّ: الحلال، ولم يعرفوا البلّ في العربية فجعلوه من لغة حمير: ورأيي أن هذه كلمة لا معنى لها في نفسها، وإنما أتت بها على وزن الكلمة الأولى ورويها تأكيداً لمعنى الكلمة الأولى وهذا يصدق أيضاً في رأيي على (بيّك) في قولهم حيّك الله وبيّك، وقد اختلفوا في معنى بيّك اختلافاً كبيراً(٤٦).

والنوع الأول أكثر من النوع الثاني، فالازدواج ربط بين شقين بالواو، وكل شق على هذا قائم بنفسه، فالغالب إذن أن يكون للشق الثاني معنى مستقل به كما أن للشق الأول معناه الخاص به ولا حاجة إلى القول إن المعنى الثاني يجب أن يطابق المعنى الأول أو يقاربه على وجه من الوجوه وإذا تطابق المعنيان ولم تتوافر المجانسة الصوتية كان ذلك من قبيل الترادف لا الازدواج(٤٧).

وأخيراً فإن الغرض من المزاوجة كالغرض من الإتياع وهو تأكيد معنى الكلمة الأولى بالمجانسة الصوتية، وفي الازدواج كما في الإتياع نجد المجانسة بالوزن والروي أكثر كثيراً من المجانسة بالوزن وحده ففي أمثلة ابن قتيبة للازدواج لا نجد إلا ثلاثة أمثلة اقتصرتها فيها على

المجانسة على الوزن هي قولهم: "هو أكذب من دَبٍّ ودَرَجٍ"، وقولهم لا يقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً". وقولهم: "ما يعرف قبيلاً من دبير" (٤٨).

الإتباع والتوكيد:

للتوكيد أو التأكيد صور مختلفة في العربية، وجعل النحاة التوكيد قسمين: معنوياً بألفاظ محدودة معروفة وتوكيد لفظي: وهو تكرار اللفظة بنفسه أو بمرادفه، وقد ربط النحويون بين الإتباع والتوكيد، فذكر الرضي في شرح الكافية: "التأكيد اللفظي على ضربين: لأنك إما أن تعيد لفظ الأول بعينه نحو: جاءني زيد زيد، وجاءني جاءني زيد، أو تقويه بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتباعاً" (٤٩).

ونقل السيوطي في كتابه المزهّر: قال ابن الدهان في الغرة في باب التوكيد: "منه قسم يسمى الإتباع، نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه توكيداً للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه، كأكتع وأيصع مع أجمع، فكما لا يُنطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها، ولهذا المعنى كررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع، ومن جعلها قسماً على حدة محبة مفارقتها أكتع لجريانها على النكرة والمعرفة، بخلاف تلك وأنها غير مفتقرة إلى تأكيد قبلها بخلاف أكتع. قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتكرار... وقال قوم هذه الألفاظ تسمى تأكيداً وإتباعاً. وزعم قوم أن التأكيد غير الإتباع، واختلف في الفرق، فقال قوم: الإتباع منها ما لم يحسن فيه واو، نحو حسن بسن، وقبيح وشقيح، والتأكيد يحسن فيه الواو نحو: جلّ وبل" (٥٠).

ويبدو لنا من كلام النحاة أنهم يشترطون أن يكون التوكيد اللفظي بلفظ المؤكد أو بمرادفه وأنه يجوز العطف بين المؤكد والمؤكد إذا كان جملة بغير واو.

أما أهل اللغة وما نصّوا على أنه من التوكيد، ليفرقوا بينه وبين الإتباع، وليقيّدوا الإتباع، فمنه ما يتفق مع التوكيد النحوي. يقول الفراء: "يقال: رجل صيَّاح نيَّاح، قال: والنيَّاح والصيَّاح واحد" (٥١).

وقال أبو زيد: "إنه لقليل حقير، وقليل، حقر والحقير والحقر واحد وهو الصغير الذليل" (٥٢). ويقال: صب سبحل ربحل وكلاهما الطويل الفخم.

وإذا انتقلنا إلى أبي الطيب نجده يورد في باب التوكيد العديد من الأمثلة التي توضح الفرق بين الإتباع والتوكيد نذكر منها قوله: "يقال في الدعاء على الرجل جوعاً له وجُوداً وجُوساً، فالجود

هو الجوع بعينه وقولهم: جوسا إتباع، هذا قول، وقد قيل: الجوس: الجوع أيضاً، فإن كان هذا ثبتاً فهو من التوكيد لا من الإلتباع" (٥٣).

ومن التوكيد الذي أوله راء: "يقال خب سبحل ربحل وكلاهما الطويل الضخم وكذلك في فحل سبحل ربحل" (٥٤) وذكر في التوكيد: "إنه لطبيب لبيب" (٥٥). وهكذا فمناط التفرقة بين الإلتباع والتوكيد مبني على إمكان أفراد الثاني أو عدمه، فالإلتباع ما لا يفرد، فإن صحّ إفراده كان توكيداً، ولا اعتداد بغير هذا القيد عند أبي الطيب.

ومما أشار فيه ابن فارس إلى التوكيد ما نقله عن الأصمعي: "لا أتيك سجيس عجيس، أي الدهر وسجيسه: آخره، ومنه قيل للماء الكدر: سجيس، لأنه آخر ما يبقى، والعجيس تأكيد وهو في معنى الآخر" (٥٦).

ويغلب على الإلتباع عنده ما لا يفرد التابع، أو ما يكون له معنى مختلف عن المتبوع، أما إن وافقه فهو توكيد.

نلاحظ مما سبق من توكيد نحوي فإنه يوافق تماماً ما اشترطه النحويون في التوكيد، ولكن كثيراً مما ورد في التوكيد اللغوي ليس موافقاً للتوكيد النحوي إما لأن اللفظ الثاني - التابع أو المؤكد له معنى مختلف عن الأول أو لوجود الواو بينهما.

ففي إلتباع أبي الطيب مما عدّه توكيداً: "فرّ وله كصيص أصيص بصيص من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف" (٥٧).

ويقال: "هو يحفنا ويرفنا: أي يعطينا وعيرنا" (٥٨). ويقال: "بغية التراب والكباب، والكباب هو التراب بعينه" (٥٩) ومما يختلف فيه معنى التابع قولهم: "ما له جرب وحرب من الحرب" (٦٠) ويقال: "إنه لساغب لاغب والساغب: الجائع واللاغب المعيب" (٦١).

ويقولون رجل أيمان عيمان، والأيمان الذي ماتت امرأته، والعيان الذي هلكت إبله فهو يعام إلى اللبن، أي يشتهي" (٦٢).

ويقال: "ماله ثلّ وغلّ: إذا دعي عليه بالهلاك فقولهم ثلّ من الثّل وهو الهلاك. وغلّ من الغلة: وهو العطش" (٦٣).

ويقال بلد عريض أريض، فالعريض الواسع، والأريض الحسن النبات" (٦٤) وعبارات كثيرة صنفها المؤلف في باب التوكيد لا يتوافر فيها ما تقدم من شروط التوكيد اللفظي كما عرضه علماء

العربية، وقد رأيت أن المقصود هنا نوع آخر من التوكيد وهو تقوية المعنى، ويضاف هنا إلى أساليب التوكيد الكثيرة المعروفة في العربية.

الإتباع والإبدال:

الإبدال في اصطلاح اللغويين: إقامة حرف مكان حرف في موضعه أو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف عدا حرف واحد، مع تناسب المعنى بين اللفظتين، كمدح ومدّه وجثا وجذا ويكثر أن يكون الحرفان المبدلان مما تقاربا صفة أو مخرجا، وقد يقع الإبدال في غير المتقاربين.

وعلاقة المبحث بالإتباع أن هنالك ألفاظاً ذكرها العلماء في الإتباع وهي مما يعدّ من الإبدال أو العكس: ومن هذه الألفاظ ما نجده في كتاب الإبدال لأبي الطيب وهو أوسع كتب العربية في هذا الموضوع ونجد الألفاظ نفسها في كتابه الإتباع.

أورد المؤلف في إبداله "رحل ضئيل بيّن الضالة وبئيل بيّن البآلة" (٦٥). واللفظ عينه قد ذكر في الإتباع (٦٦). وذكره غير من المؤلفين وكونه من الإبدال بعيد لتباعد الضاد عن الباء مخرجاً ولاختلافهما صفات ولكن لاتفاقهما معنى جعلاً من الإبدال. ومنه ما ذكره عن الفراء.

"أفلت وله بصيص وكعيص" (٦٧) .. على أن الباء والكاف مبدل أحدهما من الآخر، وهو بعيد كسابقه ثم إن المؤلف ذكره في كتابه - الإتباع قسم التوكيد (٦٨).

وفي الإبدال بين السين والهاء - أورد أبو الطيب: "السَمَلَعُ والهَمَلَعُ: الذئب" (٦٩). وأورده في إتباعه من التوكيد كما ذكره القالي في الإتباع (٧٠).

ومما جاء في الإبدال لابن السكيت: عن الفراء: ذهب القوم شزر - مذر - وشذر - بذر قدر إذا تفرقوا" (٧١). وهو ممّا يروى في الإتباع (٧٢). ويقول ابن السكيت في إبدال الباء والميم كسابقه: "يقال: مهلا وبهلا في معنى واحد، وعن أبي عمرو أن مهلاً وبهلاً إتباع" (٧٣).

هذه نماذج مما ورد في العربية مختلفاً فيه بين الإبدال والإتباع وتتبع هذا المبحث يُظهر كثيراً من الخلط بينهما، كما يبيّن عن التوسع الواضح في الإتباع، وإن علماء العربية حشروا في الإبدال ما ليس منه، وأن المصطلحات ليست واضحة المعالم تماماً.

الإتباع والترادف:

الترادف لغة: دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد، وقد فرق علماء اللغة بين الإتباع والترادف، فالترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت أما التابع فلا يفيد معنى وحده (٧٤).

والذي عليه الألفاظ الإتباعية بمعناها الواسع - إتباعاً أو توكيداً - يكشف وجود كثير من المرادفات، عدت إتباعاً، وقد نقلنا أمثلة مثلها في الصفحات السابقة عند الحديث عن الإتباع والتوكيد، وذلك أن يكون الثاني مرادفاً للأول.

والباب الذي عقده القالي للإتباع استند فيه إلى تقسيم التابع إلى قسمين: ما يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيداً، وشرب ما يكون فيه الثاني مخالفاً للأول.

فمن ذلك أشير أفر، فالأشير: البطر المرح وذلك الأفر عند ابن الأعرابي^(٧٥). ويقولون: "ضئيل بئيل فالبئيل هو الضئيل"^(٧٦). ويقولون: "مضيع مسيع، والإساعة: الإضاعة"^(٧٧).

وكثير مما ذكر من الأمثلة ومما كتب في الإتباع ومصادره تظهر لنا أن من ألفاظه مما جاء مرادفاً لتبوعه، وسواء أعد ذلك من الإتباع أو التوكيد.

خلاصة الرأي:

فيما سبق لاحظنا عناية علماء العربية بالإتباع واهتمامهم به، واتفقوا على أن الإتباع أن تلي الكلمة كلمة أخرى على وزنها أو رويها، يهدف توكيد الكلام وتزيينه، وكان لكل منهم وجهة نظر في معالم الإتباع وقبوده، وبيننا كذلك صور وأشكال الإتباع التي يرد عليها فقد يكون هذا التابع اسماً أو فعلاً أو جملة.

يقال: "بسلاً له وأسلاً أي حرام محرّم"^(٧٨). ويقولون أنه لجميل بكيل ومن أمثلة الإتباع غير الإسمية قولهم: "حظيت المرأة عند زوجها ونطيت"، ويقال: "أرغمه الله وأرغمه"... وبيننا كذلك قال أبو مالك: "يقال حارَ يارَ، جارَ ويقال رجل حرّان يرّان جرّان، إذا أصابته مصيبة"^(٧٩).

وذكرنا أيضاً أن التابع غالباً يكون على زنة متبوعة، من ذلك نقلنا عن ابن فارس من تعريفه الإتباع: "أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها" وقول الرضي: "ويجب أن يُراعى تجانس اللفظين في باب الإتباع بما يمكن" وقال السبكي: "فالتابع شرطه أن يكون على زنة المتبوع"^(٨٠).

ومن أجل ما سبق من كثرة المطابقة بين التابع والمتبوع فقد حدث تغيير في التابع وهو ما يمكن أن يطلق عليه الضرورات النثرية، وقد عُرف هذا في أقوال العرب وأمثالهم، من ذلك قولهم: "لكل ساقطه لاقطه فهما قيل في المثل: أن الأصل: لكل ساقطه لاقطة، ومن أمثلة هذا في الإتباع. قولهم: "لا درست ولا تليت ويروى اثلتيت"^(٨١).

وفي شرح الكافية: "ويجب أن يراعى تجانس اللفظين بما يتمكن، فلهذا قلبوا واو "بَوْص" بياء وأصله: "حيص بيص".

ونقل أبو الطيب عن الفراء: "يقال أتيته فمَنّاني وهنّاني، غير مهموز، وهو إتباع" (٨٢) .. والذي يلحظ هنا تسهيل همزة هنّاني ليوافق مَنّاني.

ونقل أبو الطيب كذلك في التوكيد: "يقال رجل مليّ وفي" (٨٣)، وقد ذكر في اللسان ملاً الرجل، يملؤ ملاءة فهو مليء ثم قال وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء" (٨٤).

ثم أوردت في نهاية البحث علاقة الإتياع بالمزاوجة والتوكيد والإبدال والترادف وذكرت أن هناك خلطاً في الفهم الدقيق لهذه المصطلحات وتداخلاً عند علماء اللغة أو حتى عند العالم نفسه، من هذه الآراء اختلافهم في "حلّ وبلّ" فقد أخرجها أبو عبد من الإتياع وعدّها جديدة لكان الواو، وتقل في الصحاح - بلّ كلام أبي عبيد - أما ابن فارس فاقصر على القول "وهو حلّ وبلّ أي مباح وذكرها أبو الطيب في قسم التوكيد من كتابه، وابن دريد جعلها إتياعاً يجوز أن يفرد (٨٥).

واختلافهم في: "حيّك الله وبيّك" فمما قيل في معنى بيّك - ما سبق من إنكار الإتياع عند أبي عبيد لأنها بالواو، وأمّا أبو الطيب فجعلها توكيداً ولم يبيّن ابن فارس موقفه من العبارة وهي عند ابن دريد إتياع يجوز إفراده (٨٦).

هوامش

- ١- انظر: الصحاح للجوهري، ت. أحمد عبدالغفور، دار العلم، بيروت، مادة تبع.
- ٢- سورة البقرة، الآية: ٣٨.
- ٣- سورة يس، الآية: ٢٠.
- ٤- سورة البقرة، الآية: ١٤٥.
- ٥- سورة الإسراء، الآية: ٦٩.
- ٦- الصاحبي في فقه اللغة، ت. السيد أحمد صقر، مكتبة عيسى الحلبي القاهرة، ١٩٧٧م، ابن فارس، ص ٤٥٨.
- ٧- المصدر نفسه، ص ٤٥٨.
- ٨- الإتياع والمزاوجة - ابن فارس، بعناية كمال مصطفى - مطبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص ٢٩.
- ٩- المنصف لابن جنّي، ج ٢، ص ٢٢٥-٢٢٦.

- ١٠- الجمهرة في اللغة، لابن دريد. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند. ١٣٤٥هـ. ج ٣. ص ٤٢٩، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها. للسيوطي. تحقيق: محمد أحمد جاد الله وزميله. مطبعة الحلبي، ج ١ ص ٤١٧.
- ١١- السيوطي، المصدر السابق، ج ١. ص ٤١٥-٤١٦.
- ١٢- شرح الكافية، رضي الدين الاسترأبادي، مصورة عن طبعة الآستانة، ج ١. ص ٣٣٣.
- ١٣- الإتياع لأبي الطيب اللغوي، ت. عزالدين التنوخي، مجمع اللغة العربية دمشق. ص ٧٥.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ٩٢.
- ١٥- أدب الكاتب، ابن قتيبة. ص ٤٨.
- ١٦- ابن فارس، المصدر السابق. ص ٦٥.
- ١٧- المخصص، لابن سيده الأندلسي، المكتب النجاري، بيروت. ج ١٤. ص ٣٠.
- ١٨- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. إبراهيم السامرائي و د. مهدي المخزومي. دار الرشد، بغداد. ج ٢. ص ٢٥٧.
- ١٩- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣١٨.
- ٢٠- المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٧٠.
- ٢١- الكتاب، ج ١، ص ١٦٠.
- ٢٢- الكتاب، ج ١، ص ١٦٧.
- ٢٣- السيوطي، المصدر السابق. ج ١. ص ٤١٩.
- ٢٤- الشُّبرم، حبُّ كالعُدى.
- ٢٥- غريب الحديث. لأبي القاسم بن سلام، دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن. ج ٢. ص ٢٨٠.
- ٢٦- المصدر نفسه، ج ٢. ص ٢٧٨-٢٨٠.
- ٢٧- المصدر نفسه، ج ٢. ص ٢٧٨-٢٨٠.
- ٢٨- أبو القاسم بن سلام. المصدر السابق. ج ٤. ص ٢٦-٢٩.
- ٢٩- ابن سيده. المصدر السابق، ج ١٤. ص ٣٠.
- ٣٠- المصدر نفسه. ج ١٤. ص ٣١.
- ٣١- ابن دريد، المصدر السابق، ج ١. ص ٢٠٨، ٢٩٢، ٣٠١.
- ٣٢- ابن دريد، المصدر نفسه، ج ١. ص ٢٠٨، ٢٩٢، ٣٠١.
- ٣٣- الأمالي. لأبي علي القالي. مطبعة بولاق - القاهرة. ١٣٢٤هـ. ج ٢ ص ٢١١-٢٢٢ وقد نقل ابن سيده في المخصص، ج ١٤. ص ٢٨-٣٧. الباب عن الكالي.
- ٣٤- المصدر السابق.
- ٣٥- الأمالي لأبي علي القالي. ج ٢. ص ٢٢١٤. المصدر نفسه ج ٢. ص ٢١٩.

- ٣٦- المصدر السابق.
- ٣٧- أبو الطيب اللغوي، المصدر السابق، ص ٣٦١-٣٦٢.
- ٣٨- المصدر نفسه، ٩٢-٩٩، (ص ٣٣١-٣٣٣).
- ٣٩- ابن فارس، المصدر السابق، ص ٢٨.
- ٤٠- المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٣.
- ٤١- المصدر نفسه ص ٣٢_٣٣.
- ٤٢- السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٤-٤٢٤.
- ٤٣- ابن فارس، المصدر السابق، ص ٣٦.
- ٤٤- السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٤-٤٢٤.
- ٤٥- المصدر السابق.
- ٤٦- المصدر السابق.
- ٤٧- المصدر نفسه نفس الصفحات.
- ٤٨- ابن فارس، المصدر السابق، ص ٣٦.
- ٤٩- رضي الدين، المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٨٣-١١٨٤.
- ٥٠- السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٤.
- ٥١- أبي الطيب، المصدر السابق، ص ٣٣.
- ٥٢- المصدر نفسه، ص ٣٩.
- ٥٣- المصدر نفسه، ص ٥٠.
- ٥٤- المصدر نفسه، ص ٤٩.
- ٥٥- المصدر نفسه، ص ٨٢.
- ٥٦- ابن فارس، المصدر السابق، ص ٤٩.
- ٥٧- المصدر نفسه، ص ٢١، ٣٨، ٤٨، ٧٤، ٨٠.
- ٥٨- المصدر نفسه، ص ٢١، ٣٨، ٧٤، ٨٠.
- ٥٩- المصدر نفسه، ص ٢١، ٣٨، ٧٤، ٨٠.
- ٦٠- المصدر نفسه، ص ٢١، ٣٨، ٧٤، ٨٠.
- ٦١- المصدر نفسه، ص ٢١، ٣٨، ٧٤، ٨٠.
- ٦٢- أبو الطيب، المصدر السابق، ص ٦٤.
- ٦٣- المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.
- ٦٤- المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.
- ٦٥- المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.

- ٦٦- الإبدال لأبي الطيب اللغوي الحلبي، تحقيق عزالدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٨٠هـ.
ج ١، ص ١٣.
- ٦٧- المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤.
- ٦٨- الإتياع لأبي الطيب، ص ٢١.
- ٦٩- الإبدال لأبي الطيب، ج ٢، ص ٢١٢.
- ٧٠- الإبدال، لأبي الطيب، ج ٢، ص ٢١٢.
- ٧١- القلب والإبدال لابن السكيت، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣م، ج ٢، ص ١٣-١٦.
- ٧٢- المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣-١٦.
- ٧٣- المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣-١٦.
- ٧٤- السيوطي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٢-٤١٢.
- ٧٥- أبو علي القالي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٥.
- ٧٦- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٥.
- ٧٧- المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٥.
- ٧٨- الإتياع لأبي الطيب، ص ٥.
- ٧٩- أبو علي القالي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٧.
- ٨٠- السيوطي، المصدر السابق، ص ٤١٤-٤٢٤.
- ٨١- المصدر نفسه، ص ٤١٤-٤٢٤.
- ٨٢- الإتياع لأبي الطيب، ص ١٠٥-١٠٨.
- ٨٣- المصدر نفسه، ص ١٠٥-١٠٨.
- ٨٤- اللسان لابن منظور، - مادة ملأ.
- ٨٥- ابن دريد، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٣٠، الإتياع، ص ٢٣، الإتياع والمزاوجة، ص ٦٢ - الجوهري -
بل.
- ٨٦- الجمهرة، ج ٣، ص ٤٣٠، الإتياع، ص ٢٤، الإتياع والمزاوجة، ص ٦٩.
